عباس محمود العقاد

بين عقدته الشخصية وعقدة المفكرين

الكتابة عن الاديب عباس محمود العقاد ، الكاتب الموسوعي ، المفكر الشاعر ، القاص ،والصحفي .. وسط عالم متغير وبعد مرور أكثر من مئة وخمسة عشر عاماً (١٨٨٩-١٩٦٤) من تاريخ ميلاده قد تكون شائكة أكثر من اللازم ، إذا لم ينظر الى إبداعات هذا الاديب في المرحلة التي عاشها وأدار فيها معاركه الادبية ، وكتاباته الابداعية وشعره ونظمه البديع ، ومقالاته الادبية والصحفية .. وحتى لو حاولنا استخدام مبضع الناقد من بعض المناهج الحديثة علي تراث هذا المفكر العملاق لتعثرت أقلامنا أمام الرؤى الجديدة التي تتضارب جملةً وتفصيلاً عن آراء وأفكار المفكر عباس محمود العقاد ولاريب أن للأديب العربي المصري عباس محمود العقاد فكراً وأسلوباً وطريقة تعبير منسجمة في كثير من أوجهها مع حركة المجتمع الذي تفيأ تحت ظله فهو - أي الاديب العقاد - كان كالمرأة التي تعكس مايمور ويموج في المجتمع المصري خاصة والمجتمع العربي عامة.

وقد كان عباس العقاد على إمتداد حياته الادبية محور إرتكاز الحياة الادبية في العالم العربي ، وكانت نصوصه الابداعية وتحليلاته الابداعية وشعره تبعث في الحياة الثقافية والادبية حراكاً قوياً جعل من الادب أفق مفتوح يستقطب دوماً المزيد من الموهوبين في المجال الادبي والنقد والشعر ..

وللكاتب عباس محمود العقاد خصائص فكرية وطريقة تعبير وأسلوب أدبي لايخطأه عقل المتلقي فضلاً عن الباحث والنقاد وهذه المتلازمة في أعماله التثرى جعلته يتبوأ صفة عملاق الفكر العربي ..

لقد اصدر عباس محمود العقاد الشاعر اكثر من ثمانية دواوين شعر ، ففي عام ١٩١٦ اصدر ديوانه يقظة ، وفي عام ١٩١٧ " وهج الظهيرة" وفي عام ١٩٢١ " أشباح الاصيل " وفي عام ١٩٢٨م اصدر " أشجان الليل" وفي عام ١٩٣٣ " هدية الكروان" وفي عام ١٩٣٧م " عابر سبيل" وفي عام ١٩٤٢ " وحي الاربعين" واعاصير مغرب" وفي عام ١٩٥٠ " بعد الاعاصير" كما أصدر ديوان "قصائد ومقطوعات".

ورغم اصداراته الكثيرة في مجال الشعر إلاّ أن وصفة عباس العقاد كشاعر لم تلازمه ، بل إن بعض النقاد كالناقد طه وادي يرى أن شعر العقاد مثل غيره من الشعراء الرومانسيين العرب ، يصدر عن رؤية ذاتية تعبر عن أحاسيس الشاعر وعالمه الداخلي ، وإن في شعره إحساس حاد بالتشاؤم والحزن وشعور فياض بالحيرة والظمأ الى الهدوء والراحة والسعادة .

أما الدكتور ماهر شفيق فريد يرى إن العقاد الشاعر أسوأ حظاً من العقاد القاص ، فهو يرى إن في دواوينه كلها لاتكاد تقع على أكثر من عشرين قصيدة جيدة .. ويضيف قائلاً إن هذا ليس بحد ذاته بالقليل .. ومع هذا فإنه ينكر عليه لقب الشاعر إلاّ فيما ندر ، وإن منظومات شعراء زمانه ولاتحقق أي ثورة اسلوبية وترسف في اغلال التقليد وتخلو من القبس والتوهج ..

بيد أن بعض آراء المفكرين عن شعر العقاد تكاد تكون مبطنةكما قال عنه الدكتور عبدالرحمن أبو عوف بأن ثقافته الانسانية لم تخفف من عاطفته ، كما أن الدكتور لويس عوض قال إن عباس العقاد كان في بداية حياته ووعيه نموذجاً فريداً للكاتب الذي اجتمع فيه العقل والعاطفة .

أما الدكتور مدحت الجيار قال إن العقاد من أكبر منتجي الثقافة في العالم العربي ، وإن عباس العقاد ليس مجرد كاتب او مؤلف مقالات ومبدع شعر ونقد ولكنه سياسي ومبدع وناقد وباحث ، له رأي خاص في كل شيء كتب عنه .

وقد كان العقاد كما قال د. صلاح فضل يؤثر نفسه في كونه شاعراً قبل كل شيء لأنه أثر في الذين سبقوه بشعره .

أما الدكتور جابر عصفور فقد قال أن العقاد كان متميزاً بالموسوعية وإنه كان ناقداً تميزت قدرته النقدية في محاربة المقدسات والافكار التي رسخت في الوعي واحالت العقل الى مجرد تقليد .

عمر عبد ربه السبع

ولعل صفة الموسوعية لم تعد تنفع في هذا الزمان الذي تكثفت فيه الخصوصية والبحث في كل التفاصيل والدقائق في موضوع واحد فهو في مقاييس هذا الزمان من الاوصاف القاصرة إن لم تكن المعيبة .

ومع هذا لايغفل عصفور في إعطاء العقاد حقه في الشعر بأن قال :

إن هناك ثلاثة ملامح في شعر العقاد من حيث كونه مزج بين الشعر والفكر وولوجه الى آفاق الفكر الرفيع من خلال الشعر الوجداني ، ومزج القلب والعقل معاً وجعل الشعر متداخلاً في حياتنا اليومية ..

يقول الاستاذ العقاد في قصيدة له " في بيتي "

مائدة كم بت اشتاقها ... القيت في صفحتها بالذباب
أرحتني منها فقد عفتها ... فليس فيها مورد مستطاب
فيازماناً جاء لي مفعماً ... بالضن او أسعدني بالعذاب
إن تطلب الشكر على رحتي ... ما أجدر اللوم بذاك المصاب

لقد أجمع النقاد والادباء على أن الاستاذ العقاد كان يملك عاطفة جياشة وشعور مرهف وثقة كبيرة بالنفس جعلته شديد الاعتزاز بها فخور بكبريائها على الآخرين ، فهو رجل عصامي أعترك مدرسة الحياة وصنع منها ثقافته الواسعة واحلامه العظام على شاكلة حي بن يقظان وكان أسلوب التحدي والمجابهة بعض من أدوات معاركة الادبية وعلاقته الاجتماعية ..

يقول النقاد أنه تجرع مرارة الألم في حب من أسماها (سارة) وهو اسم روايته الوحيدة ، فهكذا كانت قصائده لاتخفي تلك اللواعج ولاتحجب ظلال الحب وتفيء الهوى :

يقول العقاد " في ديوان أشجان الليل":

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى ... وأرتاد فيك اللهو بعد التعبد
وألقاك جسماً مستباحاً وطالما ... لقيت جم الخوف جم التردد
رويدك إني لا أراك مليئة ... بلذة جثمان ولاطيب مشهد
جمالك سم في الضلوع وعتيرة ... ترد سهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من ألحان والطلى ... ففي غير بيت كان بالامس معبد

وقال عن المرأة أيضاً :

خل الملام فليس يثنيها ... حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها وطلاء زينتها ... ورياضة للنفس تحييها
وسلامها فيما تكبد به ... من يصطفيها أو يعاديها

وقد أحب الاستاذ العقاد المرأة وأيما حب ، فهو القائل :

لم أدر كيف يتاح لي نسيانها ... وخيالها من ناظري معلق
حتى نسيت فعدت أذكر أنها ... كانت هواي ، فلا أكاد أصدق
إن إقتنائي لحظة بغرامها ... لأحق بالعجب العجاب وأخلق
ماكنت أجهل من عيوب صفاتها ... عيباً ، ولكن كل حب أحمق

لقد مرّ الاستاذ بتجربة عاطفية مفعمة بأطياف الحب ومسراته وتخلل هذه التجربة الرضا والغضب والحزن ، واللوعة والألم والصفاء والجفاء .. إلاّ أن هذه التجربة او التجارب العاطفية التي خاضها العقاد مع المرأة ، فضلاً على اطلاعه الواسع عن الجنس اللطيف مكنته من اصدار ثلاثة كتب عنها هي :"هذه الشجرة" و " المرأة في القرآن " و " المرأة ذلك اللغز" وكان فحوى هذه الاصدارات أن المرأة شر لابد منه .. فلقد أحجم العقاد عن الزواج فهو في نظره من مزعجات الدنيا ولعل .. صفة عدو المرزة التي يتصف بها العقاد اتضحت معالمها أكثر عندما يسرد أحد تلامذة العقاد قصة لوحة للفنان صلاح طاهر كان يزين العقاد بها غرفة نومه ويرى فيها كل تاريخ الفن وتاريخ الاديان .. فقد شرح العقاد للفنان صلاح طاهر علاقته بفتاة ساعدها مادياً وأدبياً وصارت نجمة سينمائية وكثرت علاقاتها بآخرين مما أغضب الاستاذ العقاد الذي أرادها لنفسه وتركها وشهرتها وزحمة الناس حولها وإن حاولت مراراً العودة الى احضانه إلاّ أنه أبى وتكبر وامعاناً في هجرانه لها طلب من صديقه الفنان أن يمثل له هذه المرأة من سقط المتاع فكانت اللوحة عبارة عن فطيرة حلوة ، يشتهيها من يراها ، تكدس على الفطيرة صرصور او ذباب الى جانب الفطيرة وعاء حوى عسلاً ، والعسل ذباب ايضاً .. وهكذا جعل منها شيئاً وجعل هذاالشيء يقف عليه الذباب ، أو يعف عنه .. ووضع هذه اللوحة أمام سريره ، لتكون نظرته إليها كل يوم نوعاً من البصق عليها .

وكما قال أنيس منصور إن معن هذه اللوحة بالنسبة للاستاذ عباس العقاد تمثل المرأة .. وبل وكل امرأة ..

" مائدة كم بت اشتاقها ... ألقيت في صفحتها بالذباب.."

لقد عاش العقاد حياة مترعة بالمغامرات العاطفية والمناوشات السياسية والمعارك الفكرية والثقافية .. وقد دافع عن آرائه باستماتة حتى هاب مناظريه ومناوئيه .. وحتى عندما يتراجع عن آرائه وافكاره وانتقاداته يتوارى بأساليب ماكرة تجعل الآخر يحترم وجهة نظره المدعمة بالحجج والمفعمة بالاقناع ..

فقد كان في باكورة حياته يرى أن الشعر أفضل من فن القصة او الرواية وحجته " ما أكثر الاداة وأقل المحصول في القصص والروايات ، إن خمسين صفحة من القصة لاتعطيك المحصول الذي يعطيه بيت كهذا :

" وتلفتت عيني فمذ بعدت ... عنها الطلول تلفت القلب "

لأن الاداة هنا موجزة سريعة والمحصول مسبب باق ، ولكنك لاتصل في القصة الى مثل هذا المحصول إلاه بعد مرحلة طويلة من التمهيد والتشعيب".

بيد أن الكاتب سامح كريم نقل عن العقاد قوله :" إنني لم أكتب ماكتبته عن القصة لأبطلها وأحرم الكتابة فيها لأنفي أنها عمل قيم يحسب للأديب إذا أجاد فيه .. ولكنني كتبته لأقول أولاً إنني استزيد من دواوين الشعر ولا استزيد من القصص في الكتب التي اقتنيها ، وأقول ثانياً إن القصة ليست بافضل الثمرات التي تثمرها القريحة الفنية "

فهل نصدق ما قاله العقاد بهذا الاعتراف وهو الذي قرأ كثيراً في روائع الادب الروائي العالمي ، لكل من تشارلز ديكنز وليو تولستوي وتوماس هاردي وجون شتاينبك ومارسيل بروست وغيرهم .. وكان يستزيد منها كلما سنحت له الفرصة ..

يقول الكاتب سليمان سالم كشلاف : رغم أن الاستاذ عباس محمود العقاد كتب ما كتب من رأي في الفن القصصي ، وحاول أن يطبق مفهومه ذاك عن الشعر والقصة في مقطوعات شعرية يحاول أن يجسد فيها رؤيته ورأيه الذين برزا بعد ذلك في رواية (سارة) إلاّ أنه لم يستطيع الاحاطة بكل تفاصيل التجربة الحكاية ، ولايعدو قوله الشعري عن موقف واحد يتكرر باكثر من وجه ، كزنه ينظر إليه من زوايا مختلفة "..

ولعل هذا التكرار في الموقف وانعدام التفاصيل هي التي أوحت اليتيمة او الوحيدة له لأن تجربته مع سارة عاشت في كيانه وفي عقله وقلبه ، ولم يستطع لها فكاكاً مدى حياته رغم تحديه وغروره ومحاولاته المتكررة إزاحتها من خياله وحياته .. وحتى فن الرسم او الكاريكاتير الذي أهداه له الفنان (صلاح طاهر) وهو باب آخر من الفن الادبي طرقه الاستاذ العقاد وزينه في بيته ليؤكد تكامل صنوف الفن الادبي في التعبير والايحاء والتأثير ..

يقول الاديب طاهر الطناجي " إن سارة التي أحبها الاستاذ عباس محمود العقاد كانت دافقة الانوثة وناعمة وكانت فوق هذا مثقفة وأن الاديبة في زيادة وعلاقته بها وبصالونها الادبي .

لاتخفى على الآدباء والمثقفين وزوار الصالون الادبي - بل قال عنها الاستاذ إنها مثقفة قوية الحجة تناقش وتهتم بتحرير المرأة واعطائها حقوقها السياسية كما كان فيها بعض صفات الرجال من حيث انها جليسة علم وفن وأدب وان اهتمامها كان موزعاً بين العلم والانوثة "..

فإذا كانت تجربته العاطفيتين التي بين أيدينا تؤكد أنه يقف أمام امرأتين تؤكدان كل من ناحيتها بأنها ند له ، تتعامل معه في العقل والعاطفة .. تدافع عن آرائها وتبث لواعجها نحوه ، فإن التساؤل يظل مفتوحاً لماذا أراد العقاد أن يؤكد لنا في كتاباته الكثيرة ومقالاته بأنه عدو للمرأة ؟!

فهل التجربة العاطفية (الفاشلة) او التي لم تتوج بالزواج هي السبب الرئيس في لي فكرة وعقله ووجدانه عن المرأة ؟!

في كتابة (أنا) يتحدث الاستاذ عباس محمود العقاد عن نفسه هكذا :

" فعباس العقاد هو في رأي بعض الناس مع اختلاف التعبير وحسن النية ، رجل مفرط الكبرياء .. ورجل مفرط القسوة والجفاء .. ورجل يعيش بين الكتب ولايباشر الحياة كما يباشرها سائر الناس . ورجل يملكه سلطان المنطق والتفكير ، ولا سلطان للقلب ولا للعاطفة عليه "..

يقول العقاد :

تجربتي أين أنت تجربتي ... ياكتبي ، أين أنت ياكتبي ؟!
لم تمنعني دمعة تؤججها ... في القلب نار العذاب والغضب
إليك عني فلست مانعة ... حزني ، وقد تمنعيني طربي

إن وهج العاطفة في ضلوع عباس العقاد لم تخمد رغم ماصب عليها من مداه شعره ورغم كبح جماح نفسه التواقة للحب ، إلاّ أن أرق التجربة وتأثير المرأة عليه ظلت تلازمه مدى حياته .. وقد قال الرواة إن رواية عباس محمود العقاد (سارة) والتي جاءت على غرار رواية الاديب الدكتور محمد حسين هيكل (زينب) من حيث العنوان كتبها بعد إنقضاء عشر سنوات من تجربته المثيرة مع المرأة ليؤكد أنه إذا كانت (زينب) أول رواية عربية (صدرت في ١٩١٤) فإن رواية (سارة) أول رواية نفسية تحليلية تكتب في الادب العربي ..

وعباس محمود العقاد لاينكر حبه لمي زيادة ، بل إن خطاباته المتبادلة بين مي والعقاد تعد ثروة أدبية ، فكرية وإنسانية .. وعن تجربة حبه مع مي زيادة يقال إن عباس محمود العقاد يؤمن بطوفان المشاعر وتوحد الحبيبين نفساً وروحاً وجسداً ، لذا أحترق حبه بصمت ، لأن مي تومن بالحب الصافي السامي العفيف الذي يرتفع عن رغبات الجسد ويسمو الى عالم الروحانيات وصداقة الفكر .. لهذا فقد خصها باسم هند في روايته الجميلة (سارة) ..

فهل يحق للاديب الانسان الكسير القلب في تجاربه الحياتية مع المرأة أن يجلد كل امرأة ويخضها لفلسفته الاحادية الجانب المرتبطة بالكرامة والاعتدادات بالنفس .. زم هذا هو ماتبقى لدينا للخوض في خضم مؤلفات هذا المفكر العملاق وصانع العقل العربي في أدق مراحل نهضته ..

المراجع :

١- " قراءة في أوراق مؤتمر عباس محمود العقاد بالقاهرة " صحيفة الرياض ٢٠٠٦/١/١م العدد ١٣٧٠٥ .
٢- أنيس منصور " في صالون العقاد كانت لنا أيام ".
٣- "سارة" لعباس محمود العقاد .
٤- " المرأة التي كسرت ظهر العقاد " سليمان سالم كشلاف .
٥- " مي زيادة سطورة الحب والنبوغ " نوال مصطفى ، منتديات الساخر .
٦- " أنا " عباس محمود العقاد .
٧- " ديوان أشجان الليل" عباس محمود العقاد .

على هامش يوم المسرح العالمي

ندوة الوفاء للرواد

متابعة/ عبدالله الضراسي

إحتضنت أروقة إدارة المسارح بحافون بمديرية المعلا عصر يوم الاثنين الموافق ٢٧ مارس المصادف اليوم العالمي للمسرح فعالية ندوة مسرحية كرست تحت عنوان " يوم الوفاء لجيل رواد جيل المسرح" جرى فيها استعراض أوراق عمل مسرحية وقراءات مسرحية ، ومتى نظمت هذه الفعالية المسرحية بالتنسيق بين الادارة العامة للمسارح وفرع نقابة الفنانين المهنية التمثيلية بعدن .

من فعالية الندوة

أفتتح وأدار الفعالية الفنان المسرحي منصور أغبري سكرتير نقابة الفنانين للمهن التمثيلية حيث قدم في بداية الفعالية الفنان والمخرج علي يافعي مدير عام الادارة العامة للمسارح بعدن حيث تحدث في البدء حول أهمية الاهتمام تبرات رواد الحركة المسرحية والاتجاه نحو توثيق اعمالهم وحفظها لإحداث حركة تواصل بينهم وبين الاجيال الجديدة ولهذا فقد اقترح بهذا الصدد أن يطلق علي مسرح حافون اسم (مسرح الوفاء) تقديراً لجيل الرواد .

وكذلك تحدث عن إهتمام الاخ وزير الثقافة بالحركة المسرحية بعدن من خلال توجيه دعم فعاليات ترميم مسرح حافون والقيام بالتأثيث واستكمال افتتاحه في صيف هذا العام تزامناً مع إنعقاد مسرح (ليالي عدن المسرحية) .

وقد أختتم الفنان علي يافعي حديثه باهمية وقوف هذه الندوة على تراث جيل رواد المسرح وحفظه للأجيال القادمة .

وبعد ذلك تحدث الاستاذ فرحان علي حسن حول أهمية (الالتفات) لجيل رواد الحركة المسرحية الاوائل وإحداث تواصل فني .

في المستقبل لأنهم قدموا تراثاً مسرحياً في ظروف صعبة ومن الخطأ تركه للاهمال .

ثم تحدث أخيراً الفنان عمر قاسم عمر عن قيادة نقابة الفنانين للمهن التمثيلية وقال إنه (خير عزاء) للرعيل الاول من رواد المسرح إن أعمالهم الفنية وجدت لنفسها جمهوراً تفاعل ولازال رغم إنهم لم يلقوا (أيامها) الاهتمام المطلوب إلاّ أنهم وجدوا في إتساع قاعدة جماهيرهم خير شهادة وتقدير لفنهم ".

قراءات مسرحية

وبعد ذلك أعلن الفنان منصور أغبري عن بدء المداخلات والقراءات المسرحية حول جيل الرواد وقد تحدث في البداية الفنان والمخرج المسرحي علي يافعي حيث قدم قراءة مسرحية ودرامية حول (مؤسس الدراما)اليمنية الكاتب الدرامي والاعلامي المخضرم الفقيد محمد مدي وقراءة استبيانية في رصيده الدرامي إذاعياً وتلفازياً .

وبعد ذلك تحدث الفنان عمر قاسم عمر حول المخرج المسرحي الكبير عبدالله صالح مسيبلي وجوانب حضوره المسرحي الاخراجي .

وتحدث الفنان والاعلامي سالم العباب حول تجربة الفقيد الكاتب المسرحي والدرامي (محمد صالح الشاعر) .

تجربة فرقة المصافي الكوميدية

وكذلك تحدث الفنان المسرحي القدير الاستاذ السيد حسن صالح حول نشوء تجربة (الخطاب المسرحي المرتجل) من خلال حفلات فرقة شركة المصافي السنوية تطورها حتى اصبحت فرقة مسرحية مستقلة بذاتها لايربطها فيما بعد إلاّ إسم المصافي !!

«رامتان» منزل قاهر الظلام

القاهرة / وكالات

"رامتان" هو الاسم الذي أطلقه عميد الأدب العربي د. طه حسين على منزله الذي تحول إلى مركز ثقافي، ويعتبر من الأماكن الثقافية البارزة في مصر، أقام العديد من الندوات الثقافية الفكرية منذ افتتاحه، ويواصل موسمه الثقافي لعام ٢٠٠٦ بعنوان "ثقافة المستقبل"، وبقدر أهمية المركز كصرح ثقافي يستقطب الأدباء والمفكرين، إلا أن أهميته تكمن بأنه منزل الأديب والمفكر د. طه حسين، بمجرد دخولك إلى المنزل ينتابك الفضول للبحث عن تفاصيل حياته من خلال مقتنياته، غرفة مكتبه، مكتبته، حجرة نومه، غرفة المعيشة...فضول لمشاهدة المكان الذي شهد معارك قاهر الظلام الأدبية والفكرية.

رامة له ورامة لابنه:

"رامتان" المنزل الذي انتقل إليه طه حسين عام ٥٥ مع زوجته سوزان في منطقة الهرم، عاش فيه ٢٠ عاماً إلى أن توفاه الله عام ٧٣م وهو أول منزل يمتلكه، اشترى قطعة لأرض من الفنان يوسف وهبي، يتكون من دورين وحديقة واسعة مليئة بالأشجار، كان يحب السير في الحديقة والإنصات إلى صوت طائر الكروان، وحولته وزارة الثقافة المصرية الى متحف طه حسين بعد أن اشترته من ورثته، يحتوي المتحف على أثاث ومقتنيات طه حسين الفنية، بالإضافة إلى مكتبته (٣ آلاف كتاب) التي كانت قد أهديت إلى دار الكتب المصرية واستردها المتحف، والأوسمة والنياشين والجوائز والمتعلقات الشخصية به، شهد رامتان انتخاب طه حسين رئيساً لمجمع اللغة العربية، واجتماعاته ومناقشاته، وفيه تولى عمله في جريدة الجمهورية، وفيه منح شهادة الدكتوراه الفخرية من ثلاث جامعات مرة واحدة مدريد، باليرمو وروما، في رامتان خاض معاركه من اجل التنوير والتقدم والتعليم، كما استقبل فيه نخب الأدب العربي والغربي منهم نجيب محفوظ، يوسف إدريس، يوسف السباعي، محمود أمين العالم، عبد الرحمن الشرقاوي، أنيس منصور، يوسف غراب، ثروت أباظة، بالإضافة إلى أندريه جيد، ايفو أندريتش، سنجور وغيرهم، وقد أطلق الأديب طه حسين اسم رامتان على المنزل بعد أن انتقل للعيش به، رامتان كلمة عربية وهي "الرامة"، مكان بالبادية يستريح فيه المسافر، وإذا ثنينا الكلمة فهي "رامتان"، فطه حسين قرر أن يتكون المنزل من مسكنين، مسكن له ومسكن لمؤنس ابنه وزوجته السيدة ليلى العلايلي حفيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، رامة له ورامة لابنه مؤنس، وذلك بعد أن تزوجت ابنته أمينة من محمد حسن الزيات.

معاركه الأدبية:

خاض معارك أدبية كثيرة مثل العلاقة بين الأصالة والمعاصرة، بين الموروث والمستحدث، العلاقة بين الشرق والغرب، نشر التعليم والقضاء على الأمية، وقضايا التجديد في الأدب والفكر، وما أن يفرغ من قضية حتى يفتح جبهة أخرى، كان قادراً على الرد وإثارة النقاش، فلم يتوقف يوماً عن القتال بقلمه، وشبهت طريقة طه حسين في القتال بالطريقة الفابية كما ذكر أ. رجاء النقاش في كتاب "طه حسين ومعاركه الأدبية"، وهو الكتاب الثاني في سلسلة تراث الجمهورية لعام ٢٠٠٦ صادر عن مؤسسة دار الجمهورية للصحافة ومن إعداد الأستاذ صلاح عطية، والطريقة الفابية في القتال تنسب الى القائد الروماني "فابيوس" الذي كان أسلوبه في الحرب "إطالة القتال ومناوشة العدو بين الحين والآخر، وعدم الاشتباك مع العدو في معركة حاسمة"، كان اسلوبه مصدر الهام لعدد من المفكرين والأدباء الانجليز الكبار فقاموا بتأسيس الجمعية الفابية عام ١٨٨٤، ومنهم برناردشو، سيدني ويب وزوجته بياتريس ويب، وتتلخص مبادئ الجمعية في ضرورة تغيير المجتمع عن طريق الإصلاحات التدريجية وليس عن طريق العنف والانقلاب والثورة، هذا الأسلوب في الحرب الفكرية هو الأسلوب الذي استخدمه طه حسين خلال حياته كلها، والجدير بالذكر أن الكتاب يقدم بعض صفحات جاوز عمرها الخمسين عاماً نشرت في صحيفة الجمهورية منذ الأيام الأولى لصدورها، ضم اثني عشر عملاً لطه حسين، تنوعت بين المقال الأدبي، والمقال السياسي والاجتماعي، والقصة المترجمة، والكتاب الملخص، واختلف المقال ما بين مناقشة لأمور السياسة الدولية أو قضايا الحياة اليومية او القضايا الأدبية، وكلها تتناول قضايا ما زالت قضايا اليوم، بالرغم من أنها كتبت منذ أكثر من نصف قرن، وكانت أولى وكبرى معاركه الفكرية من خلال كتابه "في الشعر الجاهلي" الصادر سنة ١٩٢٦، الذي استخدم به المنهج العقلي في البحث والدراسة، فبدى وكأنه يمس بالدين والقرآن الكريم، مما أدى إلى وقوفه أمام النائب العام بتهمة التعدي على القرآن الكريم والدين الإسلامي، ولكنه نجا منها بحكمة النائب العام الذي اعتبر حسين أدوات متعددة يشن من خلالها حروبه الأدبية، مثل الجامعة، المجمع اللغوي والصحافة التي كانت أداته الأولى وسلاحه الأساسي، فقد أدرك أهمية الصحافة منذ بداية حياته وقبل ان يصل الى سن ٢٠، فطرح من خلالها أفكاره وجعلها ميدان الحرب لمحاربة من يقفون ضد التطور والحرية والتجديد، يقول طه حسين عن فكره "لا ينحاز إلى طائفة ولا يتعصب لمذهب، ولا يقيد نفسه الا بحقوق الشعب والوطن، في الكرامة والعزة والحياة الصالحة التي لا يشوبها نقص أو هوان".

نصيحته للشباب:

نصيحة للشباب رددها د. طه حسين في أكثر من صحيفة وفي أكثر من لقاء..."أنهم لاهون عن القراءة الجادة، تجذبهم أضواء السينما والتلفزيون، ينشغلون بها عن قراءة أمهات الكتب التي تفتح لهم آفاقاً واسعة، وتضئ أمامهم الطريق وتخلق منهم المثقف الواعي المستنير، فالشباب الذين يعرفون اللغة العربية عليهم أن يدرسوا الأدب العربي القديم والحديث، والذين يعرفون اللغات الأجنبية عليهم أن يطلوا منها على العالم الرحب الفسيح للفكر والثقافة الأجنبية، وهذه الوسيلة الوحيدة لكي ينتجوا شيئا ذا بال"- مجلة آخر ساعة-.

حياة طه حسين هي تاريخ حياة مصر على مدى نصف قرن، فكره مدرسة مهمة للتعلم منها، من أهم مؤلفاته "الأيام" ١٩٢٩ روى فيها سيرته الذاتية في سياق التطور التاريخي لمصر، وتجسد كفاح إنساني وفكري لشخص فقد بصره عندما كان عمره ٣ سنوات ليصبح من رواد التنوير في الفكر العربي.

رحلتي مع المسرح

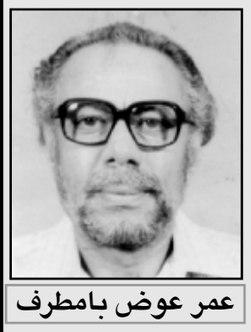

عمر عوض بامطرف

من أثينا إلى عدن (206)

مع خطبة (أبولو) الجالس على الشعراء والحوريات

في الحلقة الماضية من هذه السلسلة برقم (٢٠٥) المنشورة في صحيفة (١٤ أكتوبر) الغراء يوم السبت ٢٠٠٦/٣/٢٦م. ، وقفت عند خطبة (أبولو) الشعرية التي ألقاها من على عرشه مدافعاً عن (الشاعر) الذي غرر بالفتاة ، وكان آخر ما اعتذر به عن الشاعر قوله : انما الهَمّ عنده أنه يسكن في عالم كثير الرياء لم يعد بين بيئة من خيال مستنارٍ وعشرة من ضياء

فهل شفعت تلك الخطبة الفصيحة الجلّى لجرم(الشاعر المغرم ؟). لدى الحوريات والشعراء من حاشية أبولو ؟ هنا يسأل (شاعر) من حاشية (أبولو) وقد حيره فهم الأثر الذي يصيب الشاعر من سكنى عالم ملؤه الرياء ، وبيئة من خيال وليس بيئة من خيال ، ويقول : سيدي ! .. ويجيبه (أبولو) : هات ! (الشاعر) : هل عسير على الشاعر سكنى منازل الغبراء؟

(أبولو) ضاحكاً يسأل شيخاً من شعراء حاشيته:مايرى الشيخ ؟(الشيخ): آه من عمل الأرض !

(حورية) : ومن .. (أبولو) : صَه ! . (حورية أخرى) : ومن تراب الفناء (الحوريات يتضاحكن) .. (فينقبض الشاعر الشيخ وينادي) : ياأبولو ! (شاعر) : قل ياسيدي !

عند هذا التوجيه من (شاعر) الى (الشيخ) نجد الشاعرعلي لقمان يعبر عن موقفه الخاص من طبقية بعض بني الإنسان الذين يترفعون عن مواطنيهم ، ويجبرونهم أو يجبرهم أتباعهم على اظهار الخضوع لهم عند المخاطبة بأسماء وألقاب التبجيل والتعظيم ، أو باظهار المذلة والمسكنة لهم اذا حضروا مجالسهم بغض الطرف وانحناء الجباه ، فقد عرفنا علي لقمان الشاعر أديباً أبياً، وصحفياً ملتزماً في كل من صحيفة (فتاة الجزيرة) وفي صحيفته (القلم العدني) ، وكان كاتباً بليغاً ، ووطنياً حراً ، اقتدى بأبيه الأستاذ محمد علي لقمان المحامي والكاتب المعروف صاحب (فتاة الجزيرة) أول صحيفة عربية تصدر في عدن (عام١٩٤٠م.) ، فبذل علي لقمان ووالده الجهد في تنوير العقول وتوحيد الصفوف ، ومساعدة كل حر ملهوف .. وفي هذا الظرف بالذات تواتيه الفرصة للتعبير عن دعوته الى الحرية والمساواة ، فيقول لنا على لسان (أبولو) لـ (لشاعر) الذي قال للشيخ (قل يلسيدي) :

عالمي حر ينادي الكبار بالأسماء لاتكن مولعاً بالقاب أرضٍ ليس فيها سماحة الشعراء إن هذا حكيمكم أيها الفتيان ذو خبرة شديد دهاء فخذوا الحكمة السديدة منه في وفاء وطاعة وولاء (ويَرد الشيخ قائلاً لأبولو): ألف شكر وانما فضلك الأكبر مولاي فوق كل ثناء (ثم يلتفت الشيخ الى الشعراء والحوريات ، ويخاطب أبولو) : ذلك الشاعر الذي نزل الأرض يلاقي بها أشد الجزاء هو مثل السجين في قفص بالٍ ومثل الوحيد في الأرزاءِ لم يعد نغمة تطير حناناً بقريٍ اللحون سامي الغناء

الى أن يقول : يا أبولَو أطلقته في عباب دون علم بعاصف الدأماء × طالما أنّ والدجى مسدل الستر وأمضى نهاره في بكاء× جرحت فنه ضلالة ناس × وجمال الفنون في الكبرياء ×حسدوه ! (فتقول جورية باستهجان): على الدناءة ! (ويرد الشيخ) : لا ! بل .. (ويقاطعه شاعر بسخرية) : حسدوا حسنه البديع الرواء (الشيخ) : حسدوا فنه ونظرته الحيرى .. (حورية ساخرة : والحاحه على الإشتهاء × (الشيخ) : طالما فر من حديث الغواني والتوى عن تلفت العذراء× نزوة لم يطق عليها اصطباراً وهو كالناس من تراب وماء

(حورية بغضب) : يا أبولو ! يدنس الفن هذا الشيخ والفن من خيوط الضياء

ثم يقطع (أبولو) المحاورة ويدعو باحضار الشراب : أما آن نملأ الأكؤسا ونشرب ما يصقل الأنفسا ثم يمضي بنا مؤلف المسرحية الى مجلس شراب وحوارٍ ماجن لشاعر (شريب) ضاحكٍ وآخر ساخر ، وحوريات متهكمات ، و(يسدل الستار) .. ثم يرفع لنشاهد (الشاعر) في فلاة من الأرض وقد صار رجلاً ضخم الجسد ، مضطرب الهندام ، بلحية كثيفة ، لا يكاد يستقر بموضع ، يخطو وئيداً رافعاً بصره الى السماء ، ثم يجلس على كثيب من الرمل ، ويقول لنفسه : بلوتك قلبي في الشدائد سيدا أبياً فاقصرمن سدى وسها اذا لم تكن مثل الخطوب رزيئة مثقفة البلوى فلست فؤادي رمى بك من أفق الفنون الى الثرى أبولو بلا ماء يغيث ولا زاد كيوبيد أغراني وحواء قدمت غوايتها الكبرى فضاع رشادي يريد لنا أن نحرم الجسم لذة فتغمرنا فيه عناصر عادي هنا يأتي الشاعر صوت يلومه : أتعلم أي آثام جنيت وأية أنثى أثارت هواك ؟ فيتوسل الشاعر لصاحب الصوت أن يظهر: بربك لا تستتر انني لفي فزع ينجلي لو أراك تعال ! تكلم ! (الصوت) أمثلي يحدث وحش العراك ؟ أتلبس جلد الخروف الوديع وليس على الأرض ذئب سواك ؟

×

ثم يظهر كيوبيد ومعه حواء ويقول لها : أدركته حواء هذا الذي ألقي من عليا سماء الفنون قد شاخ من همَ ومن لوعة في عالم قد ذمه الشاعرون ماذا جرى حواء ماذا جرى صاحبنا في حالة من جنون (وهنا يتلفت الشاعر يطلب أن يرى الصوت فلا يرى شيئاً ، ويشكو بؤسه ، وضره ، ومعاناته ، وحسد الناس ، ولؤمهم وان ظهروا بثياب الكرام فان الكرامة منهم براء (يمزقهم حسد لا يزول فهم في حقيقتهم في عداء تباروا فكل على حقده عديم السخاءعديم الحياء فما السجن ؟ ما القبر ان لم يكن بقاء العليم مع الأغبياء!

(يمتد الشاعر على الكثيب يئن ، ويمر به رجل شيخ فيراه ويقول : رجل وحيد في الفلاة مشرد أم أنه ميت لم يلق حفارا؟ يا أرض كم فيك من وعظ ومن عبر (فيسأله الشاعرمنتبهاً): من أنت ، خذ بيدي ، اني امرؤ حارا (الرجل لنفسه) أخي ! من ؟ ومن أين؟ (الشاعر) : من عالم ، بعيد عن الدرن الآدمي فتى شب بين بنات السماء وفي أفق النفر الملهم (الرجل لنفسه) : يهذي ، فهل هي حمّى لم تبق فيه رشاده !(ثم الشاعر) :

أتشعر بالداء الذي فيك معضلاً ؟ (الشاعر) وليس له في العالمين دواء (الرجل) : أخي قل ما ذا تحس فربما × (الشاعر) أحس بأني في الزمان هباء أحس بعقلي طار هيمان والهاً وان لم يعد لي في الوجود بقاء (الرجل يحدث نفسه) : لو قام هذا الجبل المجنون ودكني ، ولا هنا معين ، فكيف ياترى أنا أكون ؟ (ثم يتابع متسائلاً) : ماذا يحس الرجل علته مجهولة ..(ثم يتركه ويمضي) ..

والى اللقاء في الحلقة القادمة ان شاء الله ..